BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

الثـورة في مصـر القديمـة

الأستاذ الدكتور عبد الحليم نور الدين، عالم المصريات و أستاذ اللغة المصرية القديمة، بكلية الآثار، جامعة القاهرة. وعميد كلية الآثار والسياحة، جامعة 6 أكتوبر

إعداد الباحث

مهاب درويش

Bibliotheca Alexandrina

مكتبة الإسكندرية

صفحة مصريات

الثـورة في مصـر القديمـة

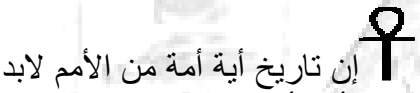

إن تاريخ أية أمة من الأمم لابد أن يموج بالكثير من الأحداث التي قد تغير من وجه هذه الأمة أو تلك والتي قد تترك آثاراً إيجابية أو سلبية والتي قد تعني أن الفكر الإنساني دائم الحركة ويملك قدرة على المواجهة بكل الأساليب الممكنة والتي تأتي الثورات كوسيلة من وسائل التعبير عن عدم الرضا بواقع بعينه ولابد من تغيير هذا الواقع أو لفت النظر إليه على أقل تقدير.

والثورة تعبير عن حيوية الأمة وحرصها الدائم على كتابة تاريخها بكل ما فيه من وقائع وأحداث، ولأن التاريخ المصري القديم كان ثرًّيا بأحداثه ومتغيراته وإنجازاته وإيجابياته وسلبياته فكان لابد أن يمتلك المصري بحكم تراكم التجارب والخبرات المعرفية؛ لابد أن يمتلك أدوات التغيير والتي من بينها الثورة. والثورة هي انتفاضة أو هزة لمجتمع بقصد إحداث تغيير مصحوب بأهداف داخلية لعل من بينها مواجهة قضايا في المجتمع تتطلب حدوث تغيير في الكثير من جوانب الحضارة.

والثورة دائماً ما تكون بمثابة رد فعل لأسلوب إدارة أو تحصل في مقومات ومكونات المجتمع أو لفساد من أفراد ومؤسسات أو لإحداث تغيير في فكر سياسي أو اقتصادي أو ديني أو اجتماعي. ويرتبط اصطلاح ثورة باصطلاحات "تآمر- انتفاضة- مؤامرة-تمرد...إلخ".

ولثراء اللغة المصرية القديمة فقد تعددت المفردات التي تشير إلى المصطلحات السابقة منها على سبيل المثال: **Hrw, hnnw, sntt, shwn, sni, thy, pri, tsi** واتخذت هذه المفردات مخصصات تُعبر عن العنف والدموية، مثل: المتوفى، والصريع، والجريح، والأسير، والمصاب، وطائر الشر، واليد التي تقبض على عصا بكلتا يديها، بالإضافة إلى رمز المعبود ست معبود الشر في مصر القديمة. لكن ليس بينها بالتحديد ما يقابل الاصطلاح الحديث نسبيًّا "ثورة" والذي يقابل "Revolution" وكل هذه المفردات تعبر عن العنف والرفض والتآمر والتمرد والعصيان ..إلخ. ولعل أكثر المفردات شيوعاً كلمة **sbi** وهي أكثرها تعبيراً عن اصطلاح "ثورة" على امتداد التاريخ المصري القديم.

وفي فترة ازدهار العسكرية المصرية في الدولة الحديثة ظهرت مصطلحات أخرى استخدمت للإشارة إلى التمرد والتآمر في الداخل والخارج، ويمكن الحديث عن أنواع عدة من الثورات التي يمكن توثيقها في التاريخ المصري القديم، فهناك ثورات اجتماعية

وأخرى اقتصادية وثالثة دينية ورابعة ثورات ضد الأجانب الذين غزوا مصر في فترات ضعفها في العصور المتأخرة.

ونبدأ بالثورة الاجتماعية التي احتفظت لنا الوثائق المصرية ببعض منها وأشهرها تلك التي حدثت في عصر الانتقال الأول عقب انهيار الدولة القديمة. ثم هناك ثورة طيبة ضد الملك تكلوت الثاني ثاني ملوك الأسرة الثالثة والعشرين والتي كانت معاصرة لسابقتها (الأسرة الثانية والعشرون) وقد حكم هذا الملك 26 عاماً (841-815 ق.م.)، وثورة الشعب المصري ضد واحد من أشهر ملوك الأسرة السادسة والعشرين وهو الملك "واح-إيب-رع" (إپريس).

أما عن الثورة الاجتماعية والتي حدثت عقب سقوط الدولة القديمة فقد ألقت الضوء عليها بعض المصادر الأدبية وهي تحذيرات "إيبوور" وقصة "القروي الفصيح"، و"بردية هاريس"، و"نبوءة نفرتي"، وبردية "اليائس من الحياة"، و"وصايا الملك خيتي لابنه مريكارع".

بردية تحذيرات الحكيم إيبور

بالإضافة إلى الكثير من المصادر الأثرية والتي من أهمها مقابر هذه الفترة مثل مقابر "مير" دير الجبراوي، المعلا، بني حسن...إلخ.

ونعود إلى أهم المصادر الأدبية وهي بردية إيبوور[1]، وهي محفوظة بمتحف مدينة ليدن بهولندا تحت رقم 344، ولذا صارت تعرف "ببردية ليدن" عليها نص بالخط الهيراطيقي كتب حكيم مصري هو "إيبوور" مصورًا ما أصاب البلاد من فوضى وفساد عقب سقوط الأسرة السادسة[2] وقد اختلف المؤرخون حول تأريخ تلك البردية فالبعض يرى أنها كتبت في فترة الاضطرابات نفسها أمثال جاردنر[3] إلا أن الراجح أنها ترجع إلى عصر الانتقال الأول ولكنها كتبت فى الأسرة التاسعة عشرة، وذلك للعديد من الأدلة منها وجود بعض الاقتباسات من نصوص لاحقة مثل تعاليم أمنمحات الأول، ووجود بعض الفقرات التي ترجع أحداثها إلى عصر الانتقال الثاني.. ومن المؤسف أن هذا النص شديد التشويه وبدايته ونهايته مفقودتان حالياً، كما تعاني بعض الفقرات من فجوات خطيرة[4].

ويشتمل هذا النص على ما يبدو، على ستة أجزاء أو "أدوار" تعرفنا بها كلمة أولى تتكرر كلازمة في مستهل كل مقطع شعري أو كل مقطع أكثر طولاً. وننتقل من اليأس، الذي يسهب النص في التعبير عنه، إلى التحسر على التوازن المفقود للمملكة المستقرة، ثم الأمل في مستقبل يكفل العودة إلى الحياة المعتادة والمحبوبة على شطآن النيل[5].

ونذكر من مظاهر تلك الثورة على لسان "إيبوور"[6]:

"لم يعد الناس يحرثون حقولهم. لقد هجم الناس على مخازن الحكومة ونهبوها، واعتدوا على مقابر الملوك. لقد صب الشعب جام غضبه على الأغنياء فنهبوا القصور وحرقوها .. لقد ألقى الناس بأطفالهم في الطريق، وأصبح رجال الأمن في مقدمة الناهبين.."[7].

"انظروا إذن، القلوب عنيفة، والشقاء يعم البلاد بأسرها، والدماء فى كل مكان ولا ينحسر الموت، وتظن أشرطة المومياء أن المرء لم يعد يقترب منها".

---

[1] **للمزيد عن دراسة بردية إيبوور انظر: رشا فاروق السيد محمد**، دراسة لغوية تحليلة خطية لبردية "إيبوور"، ماجستير، كلية الآداب، (جامعة الإسكندرية، 1999).

[2] **Cyril Aldred**, The Egyptians, thames and hundson, (London, 1987), 120.; **Breasted**, A History Of Ancient Egypt, vol. V, (Italy, 1908), 133.

[3] **A.H. Gardiner**, The Admonitions Of a Prophet, (Leipzig, 1909), 16.

[4] **كلير لالويت**، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، المجلد الأول، عن الفراعنة والبشر، الطبعة الأولى، ترجمة: ماهر جويجاتي، مراجعة: طاهر عبد الحكيم، دار الفكر، (القاهرة، 1996)،291؛ منال إسماعيل توفيق، الثورة في مصر القديمة ودور الأمن في مواجهتها، ماجستير، كلية الآثار، (جامعة القاهرة، 2003)، 18-21.

[5] **كلير لالويت**، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، 291.

[6] تم الاعتماد على ترجمة: **كلير لالويت**، 291-301.

[7] **أحمد فخري**، مصر الفرعونية، الطبعة الثامنة، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، 1995)، 162-163.

"انظروا إذ"ن، فكثير من الموتى يلقى بهم في النهر. المياه هي القبر و"المكان الطاهر" موجود الآن في النهر".

"انظروا إذن، الأغنياء ينتحبون، والمعوزون في فرح، وكل مدينة تقول: "دعونا نطرد الأقوياء من دارنا".

"انظروا إذن، النهر صار نهراً من دم، وإن شرب منه أحد فسيبصقه لأن هذا (الدم) دم بشري، والناس ظمأى للماء".

"انظروا إذن، لقد اختفت البسمة، فلا أحد يبتسم، إن الشكوى التي تعم البلاد مختلطة بالنحيب".

"حقاً فقد أصبح كل من العظيم والفقير يقول: ليتني كنت ميتاً، والأطفال الصغار يقولون كان يجب عليه ألا يجعلني على قيد الحياة".

أما بردية **القروي الفصيح** فهي تضم إحدى الروايات الشهيرة في الأدب المصري القديم والتي تؤرخ بالعهد الأهناسي وهي محفوظة في المتحف البريطاني بلندن، والقصة تصور كيف يتسلط أصحاب الوظائف الكبرى ويستغلون نفوذهم في سلب ونهب الفقراء.

صالة عرض قصة القروي الفصيح بمتحف برلين

إن جيلاً جديدًا من الموظفين الأمناء الأكفاء العدول وحده لا يكفي، وإنما يجب أن يسانده حاكم عادل حازم، هذا ما أثبتته الثورة في إحدى وثائقها الهامة؛ ففي قصة **"القروي الفصيح"** ما يدل على أن ذلك العلاج وحده غير ناجح، فلقد وقع على مقربة من قصر فرعون في مجاورات إهناسيا المدينة، اضطهاد غاشم أقدم عليه موظف سيئ الخلق ، في ضيعة المدير العظيم لبيت الملك، مما يدل على أن الوظيفة ذات المرتب الضخم لا تغرس وحدها العدالة في نفس صاحبها، ولن تغني الفقير شيئاً من اضطهاد رجال الحكومة ، وإنما يجب أن يصاحب ذلك حاكم قوي حازم يحمي الضعيف من عسف القوي ، ويمنع تلك الطبقة من الموظفين التي تتخذ من صلتها بالحاكمين وسيلة لظلم الناس ، وهكذا تدل قصة الفلاح الفصيح على مدى حاجة الدولة إلى حاكم قوي ، عادل حازم ، وإلى موظفين أمناء أكفاء عدول[1].

☥ مسمّى القصة

لهذه القصة أكثر من اسم فيسميها بعض **العلماء " احتجاجات – أو شكاوى الفلاح الفصيح "** ، ويسميها آخرون **" شكوى الفلاح الفصيح "** ولكنا لا نملك أي دليل على أن

---

[1] **محمد بيومي مهران**، مصر، ج2، منذ قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة، ص (ع) .

صاحبها كان فلاحاً يعمل في الأرض بل الأرجح أنه كان أحد الأهالي الذين يعملون في التجارة. في حين يفضل " **جوستاف لوفيفر** " تسميتها **" قصة الواحي "** ولكن إطلاق كلمة **"الواحي" -** كما يرى **أحمد فخري**- على أحد سكان وادي النطرون أمر لا يستقيم مع العرف لأن سكان الواح هم سكان سيوة والبحرية والفرافرة والداخلة والخارجة فقط، لهذا يفضل تسميتها بقصة **"القروي الفصيح"** لأن صاحبها سواء أكان تاجراً صغيراً أم يعمل في الفلاحة أم في استخراج النطرون أم الأعشاب فإنه كان يعيش في ذلك المكان الذي لا يعدو أن يكون قرية صغيرة ولم يكن من أبناء المدن المتعلمين وكان الإعجاب به لأنه كان شخصاً بسيطاً من سكان الأماكن النائية ومع ذلك فقد أوتي قدراً عظيماً من الفصاحة وحسن التعبير[1].

نسخ القصة ودراستها

عثر على أربع نسخ لها عدا المقتطفات الأخرى، وأهمها في متحف برلين، وقد عني بترجمتها والتعليق عليها الألماني **"فوجلزانج"** في كتابه:

-**Vogelsang**, *Kommentar Zu Den Klagen des bauern*, Leipzig (1913).

- وهناك ترجمات كثيرة لها من بينها ترجمة **جاردنر** في:

-**Gardiner**, *JEA*, 9, (1923), 1ff.

- وكذا ترجمها **إرمان** في:

-**Erman**, *The Literature Of The Ancient Egyption*

و**برستد** وماسپرو ورويدر وسايس ومن المتأخرين **"كلير لالويت".**

شخصيات القصة

1. **"خو-إن-إنبو":** بطل القصة الرئيسى "القروى الفصيح".
2. **"چحوتي نخت":** مدير ضيعة "برفيفي" نيابة عن رئيسه "رنسي بن مرو".
3. **"رنسي بن مرو":** وهو كبير مديري الضياع الملكية.

ملخص القصة

إنها قصة فلاح أو واحيّ أو بالأحرى قروي من سكان وادي النطرون . كان يكسب قوت يومه من الاتجار بمنتجات واحته مع وادي النيل في عهد **"نب-كاو-رع-**

---

[1] **أحمد فخري**، *الأدب المصري*، 394.

خيتي" الثاني . وأثناء توجهه إلى العاصمة وعند نقطة تقع عند مستوى منطقة دهشور مرّ بضيعة يشرف عليها موظف جشع يدعى **" چحوتى نخت "** ؛ الذي أوقعه في شرك كان ينطوي على حيلة بسيطة ، فقد بسط "نمتي-نخت" في طريق الواحة قطعة قماش ليجبر حمار الواحي أن يطأ جانباً من حقل يمتلكه. وأثناء مرور الحمار اقتلع بعض عيدان الشعير وأكلها . ورأى المشرف على الضيعة الفرصة سانحة لينقض على الواحي ويقبض عليه ويستولي على ما يحمله من خيرات. وتقدم الواحي بشكواه إلى **"رنسي بن ميرو"** ؛ الذي كان يدير الضياع لحساب الملك، والذي كان يبارح منزله لتوه ويهم بالإبحار على متن سفينته:

" يا كبير الأمناء، يا سيدي، يا عظيم العظماء. إنك ترعى كل موجود! إذا هبطت أنت فوق سطح بحيرة العدالة فأبحرت مع هبوب الرياح المواتية وامتلأ شراعك هواءً ، فلن تتباطأ سفينتك في سيرها. ولن تصاب ساريتها بعطب ولن تتحطم عوارضها ولن يجرفك التيار لحظة رسوّك، ولن يسحبك، ولن تعاني من متاعب النهر! لن يخافك أحد. فتتجمع الأسماك من حولك جماعات، وتلمس بيدك من الطيور أسمنها. أنت والد لليتيم، وزوج للأرملة، وأخ للمطلقة. أنت نقبة من ماتت أمه . دعني أعمل ليطبق صيتك الآفاق ، بعيداً عن أفضل القوانين . إنك ترعى كل موجود. ولا تعرف الجشع. أنت العظيم المنزّه من كل دنيء ! اقض على الكذب ! لينبثق العدل والحق ! استجب لشكواي ! إني أرفع صوتي كي تسمعني وتقيم العدل ! أنت الذي يثني عليه من ينالون ثناء الآخرين، لأنك طردت البؤس. أجل لقد قُبِضَ عليَّ أنا لأمثُل أمام القاضي وصرت معدماً !. " [1]

وسرعان ما يشك الفلاح في تواطؤ "رنسي" مع من سرقه عندما وجد أنه لم يستجب إلى عريضته الأولى التي تقدم بها . ولكن "رنسي" نقلها إلى الملك الذي عُرف عنه ولعه الشديد ببلاغة رجال القضاء . فترك الواحي يترافع عن قضيته حتى تبلغ مرافعاته تسعاً . وقد تكفل طوال هذه المدة بأسرته دون علمه . ومرَّ الواحي المسكين بلحظات أمل وضيق . فلما كان يظن أن النصر صار قاب قوسين ويتفاخر قبل الأوان بما حققه ، إذا بهم ينهالون عليه ضرباً . ولما انتهى من دفاعه التاسع أيقن أنه قد خسر كل شيء واستعد لمواجهة الموت فسلّم أمره للإله "أنوبيس". وعندئذ رأى النصر يتحقق . فقد أقرَّ الملك بحقه السليب ووهبه كل ممتلكات مشرف الضيعة **" چحوتى نخت "** لما لمسه من عدم أمانته [1] .

---

1 **نيقولا جريمال** ، *تاريخ مصر القديمة* ، ص 191 .

لقد زخرت بلاغة ذلك القروي بزخرف اللفظ وكانت أكثر من مجرد تسلية . فقد بنى كل خطاب من خطاباته بحيث يبرز من خلال أسلوب مجازي المجابهة التي تحتدم بين القوى السلبية والقوى الإيجابية ، وتمزق مجتمع ذلك العصر . إن التفاؤل الذي يصبغ نهاية القصة يكشف عن طبيعة هذا العمل الأدبي . فالملك بما لديه من سلطان يستطيع أن يعاقب الأشرار ويعيد التوازن إلى سابق عهده . واستناداً إلى هذه النهاية ، يميل البعض إلى اعتبار أن القصة ترجع إلى عصر الدولة الوسطى . ولكن يجدر بالملاحظة أن الشاكي قد تقدم في نهاية المطاف بحجته الأخيرة عندما لجأ إلى "أنوبيس" . فالواحي يحمل اسم **"خو-إن-إنبو"** الذي يعني " المحمي من قبل 'أنوبيس' " ، ومن ثم فهو في حمايته وتحت رعايته . فهل يعني ذلك أن تأمين عدالة الدنيا لا يتحقق إلا بفضل محكمة الآلهة بما تثيره من رهبة في نفوس الأحياء ؟ ودون الوصول إلى هذه النتيجة قد نكتفي بملاحظة أن المصريين قد تخلوا عن ركونهم المطلق إلى قرار يصدره الملك . وأصبح مصيرهم الجنائزي يتوقف على ما يقدمونه من كشف حساب [1] .

الرسالة التي أدتها قصة "القروي الفصيح"

جاءت هذه القصة معبرة عن أهم نتائج الثورة الاجتماعية والتي من أهمها :-

1- أنها استثارت الوعي القومي لدى المفكرين .

2- ودفعت طبقة المفكرين إلى رسم صورة للحاكم الصالح ، بعد أن جربت الحاكم المطلق وبعد أن رأت بنفسها سيطرة العوام .

3- نشأة طبقات جديدة عصامية .

4- شجعت المصريين على إعلان رأيهم في معتقدات الأسلاف .

5- ظهور اتجاهات متميزة بين المصريين ؛ منها :

أ- الاتجاه المتشكك المتطرف.. الذي شك معتنقوه في مقومات الخلود ، وهو فريق متشائم يائس ، يتضح لنا هذه التيار بأجل صوره في بردية **"حوار اليائس مع روحه"**.

ب- والاتجاه الثاني.. متطرف أيضاً ، رمى أصحاب الاتجاه الأول بالكفر.

ت- في حين أن الاتجاه الثالث.. أصرَّ أصحابه على معتقدات الأسلاف في الخلود .

---

1 **نيقولا جريمال** ، *تاريخ مصر القديمة* ، 192 .

ث- بينما الاتجاه الرابع.. آمن بأن الخلود حق للجميع لاشك فيه ، ولكنهم آمنوا بأن سعادة الفرد في أخراه لا ترتبط ببناء المقابر الفخمة ، بقدر ما ترتبط بصلاح أعمال الإنسان في دنياه ، ومقدار إيمانه بعدل أربابه في الآخرة [1].

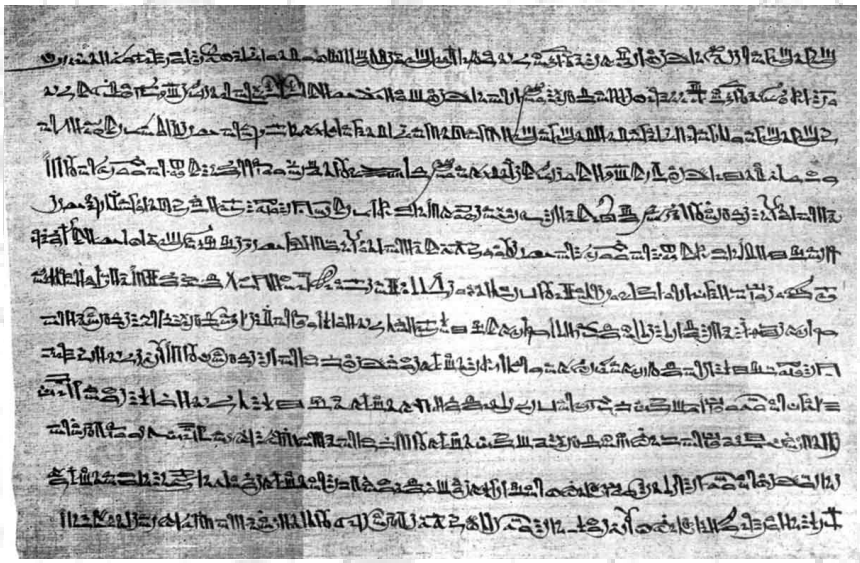

بردية هاريس الكبرى

أما بردية هاريس الكبرى

والتي جاء جزء منها يسمى "أغنية الضارب على العود"، والمحفوظة في المتحف البريطاني تحت رقم 10060، وترجع إلى عام 1300ق.م. كما أن لها نسخًا أخرى ترجع للدولة الحديثة، وجدت بمقبرة "با آتون ام حب" بسقارة، والتي ترجع إلى عهد العمارنة، وهي محفوظة بمتحف ليدن، وقام بدراستها كل من "ماكس ميلر"، وحللها بريستد، وترجمها "ارمان"، كما قامت بدراستها م. ليشتهايم، وترجمها أحمد فخري أيضاً.

وترجع أهميتها كوثيقة تاريخية إلى أنها توضح الفكر الجديد الذي بدأ ينتشر في تلك الفترة، وهو منهج الشك في العقائد الموروثة التي تجعل من الطرق العادية طريقاً للخلود ووسيلة للسعادة في الآخرة؛ وربما كان سبب ظهور ذلك الفكر المتشكك، ما أصاب الجبانة

---

1 **زكية طبوزاده** ، *محاضرات في تاريخ مصر القديم* ، 169-170 .

الملكية بالجيزة ومعابدها من خراب، ولذلك سادت الدعوة بأن يترك الناس لأنفسهم الحرية في أن يتمتعوا بالدنيا ما استطاعوا، فإن الشخص لا يأخذ معه شيئاً للآخرة، فمما جاء فيها: "امرحوا ولا ترهقوا النفس هل للإنسان أن يأخذ شيئاً مما اقتناه معه"[1].

نبوءة نفرتي

والتي كانت تسمى باسم "نفرروهو"، وهي المحفوظة بالمتحف الوطني بلننجراد تحت رقم 1116ب، والتي عثر عليها جولنشف، ونشرها عام 1913، وترجمها جاردنر أيضاً، وترجع لأوائل عصر الأسرة الثامنة عشرة، ولكن كاتبها نسبها إلى عهد الملك سنفرو ثاني ملوك الأسرة الرابعة، أي قبل عصر الانتقال، والهدف منها هو تمجيد أمنمحات الأول، ووصفه بالصفات التي يتمناها الناس في الحاكم، وتشمل البردية موضوعين رئيسين هما:

- حالة البلاد السيئة إبان الثورة الاجتماعية.
- الإعلان عن ملكية جديدة ستخلص البلاد من الشر الذي نزل بها وتسعد من يعيشون في عصرها.

ومما جاء فيها: "إني أريك البلاد في كرب ووعيل، لقد حدث ما لم يحدث ممن قبل، سيحمل الناس أسلحة الحرب حتى تعيش البلاد في اضطراب، وسيصنع الناس أسلحة من النحاس حتى يلتمسوا الخير بالدم، سأريك كيف يصبح الأب خصماً والأخ عدواً وكيف يقتل الرجل أباه".

أما عن بردية اليائس من الحياة

وتسمى أيضاً "حديث نسو مع روحه" وسماها سليم حسن "شجار بين إنسان سئم الحياة وبين روحه"، وهي من النصوص التي صورت تغلغل مذهب التشكك واليأس الذي اعتنقه الكثير من الناس، فألقوا بتعاليم آبائهم ظهرياً، ورأوا الحياة مسرحاً لإشباع الشهوات النفسية، وقد أعقبت هذه الأفكار عند بعض الناس حالة من سوء الظن لا يرجى معها خير.

---

[1] **منال إسماعيل توفيق**، الثورة في مصر القديمة ودور الأمن في مواجهتها، 23.

وهذه البردية تتكون من مقدمة طويلة ثم أربع قصائد شعرية، تذكر الأولى كيف قل تقدير الناس للرجل الفقير، ثم في الثانية يروي مأساته وضيقه بالناس، وهو رأي مملوء بالتشاؤم، وفي الثالثة يعرض بوجهه عن شرور الدنيا ليتأمل الموت كسبيل الخلاص، وهي أجمل القصائد الأربعة، وفي الرابعة يوضح امتيازات الموتى الذين قدر لهم مقاومة الشر وحرية الاتصال بالأرباب[1].

نصائح الملك "إختوي" (غتي) لابنه مري كا رع

أما عن نصائح "إختوي" (غتي/ختي) لابنه "مريكارع"، فقد وصلت إلينا مكتوبة على ورقة بردي، قد أرّخها علماء المصريات بالأسرة الثامنة عشرة، ونسبوها إلى الملك الإهناسي "أختوى الرابع"، أحد ملوك الأسرة العاشرة، وهي إحدى أسرات عصر الانتقال أو عصر الفوضى الأول.

تُصوّر هذه التعاليم حالة الذعر التي كانت تعم البلاد، نتيجة للصراع الدائر بين حكام طيبة وأهناسيا.

حاول "إختوي الرابع" من خلال هذه التعاليم أن يلقّن ابنه خلاصة تجاربه، لعله يستفيد منها عندما يتولى حكم البلاد، فنرى الملك يبين له أسلوب الحكم، وكيف يجب أن يكون الحاكم مرناً، فمرةً قاسياً، وأخرى رحيماً ليناً. ونراه أيضاً يوصيه بالثقافة، وبالمهارة في الخطابة، لأن حدة اللسان أقوى أحياناً من حدة السيف، ويوصيه بالناس خيراً، لأن حبهم يكسب الإنسان الثقة في النفس، ويوصيه بالعدل، وإنصاف المظلوم، وردع الظالم، كما يحذره من الحساب بعد الموت، لأن أعمال الإنسان هي التي تؤدى به إلى الجنة أو إلى النار، ويحذره أيضاً من الشخص الثرثار لأنه يسبب الانقسام بين الناس.

ويبدي "أختوي" اهتماماً خاصاً بالشباب، فينصح ابنه بالعناية بهم، وتقربهم منه، وإغداق الهبات عليهم، وإن حذره من عدم التمييز بين الثري منهم والفقير.

ويشير "أختوي" إلى ما كان في البلاد من انقسام، ويحذره من أن الأعداء في داخل مصر لا يهدأون، قائلاً: ***"إن القدماء قد تنبأوا بأن جيلاً سيظلم جيلاً آخر، وأن مصر ستحارب حتى في الجبانة، وتهدم القبور، لقد فعلت ذلك وأصابني ما يصيب من يعصي أمر الإله"*** .

---

[1] **منال إسماعيل توفيق**، الثورة في مصر القديمة ودور الأمن في مواجهتها، 26.

كان لإختوي كما أشرنا من قبل، أنشطة عسكرية عديدة، ليس فقط ضد طيبة في الجنوب، وإنما في منطقة الدلتا أيضاً لمواجهة أخطار جماعات الآسيويين الذين كانوا يقومون بالاعتداء على المسافرين.

وامتد نشاط "إختوي" العسكري إلى منطقة البحيرات المرة، حيث نصح ابنه بتحصينها لمواجهة هجمات قطاع الطرق من البدو.

ويحث "أختوي" ابنه في نهاية نصائحه على الإيمان بالإله، مذكراً إياه بنعمائه، فهو الذي خلق الناس، وهو الذي يشرق في السماء، وهو الذي خلق لهم النباتات والحيوانات والطيور والأسماك.

وهكذا نرى كيف تصور لنا هذه التعاليم حالة البلاد الداخلية، ثم الأخلاقيات التي طرأت على المجتمع، والتي لم تكن قائمة من قبل، متمثلة في تواضع الملك، فلم يعد ذلك الإله المترفع عن البشر، بل أصبح يعترف بخطئه، ويردد عبارات الندم والاعتراف بالخطأ.

ومن أخلاقيات هذه الفترة أيضاً، اعتراف الملك بأن سعادة الإنسان في حياته تتوقف على ما فعله في حياته الأولى، وليس على رضاء الملك فقط.

ثم هناك المصادر الأثرية الثابتة مثل مقابر مير والمعلا وبني حسن

ففي مقابر مير: تدل النقوش المسجلة بها على مدى سخرية الفنان، حيث صور العديد من الأشخاص في حالة نحافة شديدة، وآخرين في بدانة شديدة، وكأنه يريد إظهار مدى التفاوت الكبير بين طبقات المجتمع، معبراً عن تردي الأوضاع في عصر الإنتقال الأول[1].

أما مقابر المعلا: والتي من أهمها مقبرة "عنخ تيفي" حاكم إقليم نخن، وقد جاء على جدرانها الحرب التي دارت في عهده وكيف أنه قاوم وسد حاجة إقليمه.

وتشير مقابر **بني حسن** أيضاً إلى الحروب التي دارت في تلك الفترة.

[1] **منال إسماعيل توفيق**، الثورة فى مصر القديمة ودور الأمن في مواجهتها، 28، وللمزيد عن الثورة الاجتماعية أسبابها ومظاهرها ونتائجها انظر: صـ 30-51.

مقابر بني حسن التي تشير إلى الصراع في عصر الانتقال الأول

ثانياً: ثورة طيبة ضد الملك تكلوت الثاني

وهو سابع ملوك الأسرة الثانية والعشرين، وقد بدأ الحكم في الشمال فى عهد أخيه وسركون الثانى الذى زوجه من ابنته ليضمن السيطرة على الشمال، ومن أهم المصادر التى تحدثت عن هذه الثورة:

1. **لوحة حور باسن**: والتي ترجع للأسرة الثانية والعشرين، وهي محفوظة بمتحف اللوفر، وعثر عليها بسرابيوم سقارة، أقامها حور باسن القائد الحربي والكاهن الأعظم للمعبود Hr Hry S.f حور حري شا اف، معبود مدينة أهناسيا وحفيد وسركون الثاني في أواخر عهد الأسرة الثانية والعشرين بمناسبة دفن العجل أبيس، وتتمثل أهميتها في التأريخ لملوك الأسرة وسني حكمهم[1].
2. **حوليات وسركون**: وهي حوليات نقشها وسركون الكاهن الأكبر لأمون وابن تكلوت الثاني وقائد جيشه على جدران بوابة بوبسطة بالكرنك.

الثورة وأسبابها

---

[1] **منال إسماعيل توفيق**، الثورة في مصر القديمة ودور الأمن في مواجهتها، 52.

حكم الملك تكلوت الثاني بعد الملك وسركون الثاني، ومرت السنوات العشر الأولى في هدوء حتى كانت السنة الحادية عشرة فتفجرت الأعمال العدائية في أعقاب وفاة كبير كهنة آمون "نمروت"، إذ دار صراع حول من يتولى المنصب وتكون له السلطة على طيبة، فأصحاب الحق والمرشحون هم "بتاح وج عنخ اف" (تكلوت) ابن نمروت، حور سا إيزيس حفيد الملك والكاهن الأكبر السابق. وقد تخطى تكلوت الثاني كل ذلك وتجاهل أصحاب الحق الشرعيين وعين ابنه ووريث عرشه أوسركون والذي كان لايزال طفلاً صغيراً، ولم يكن من السهل إقناع طيبة وأهلها بهذا الاختيار فانفجرت الثورة في كل طيبة وامتدت فى مصر الوسطى بتحريض من "حور سا إيزيس" الذي رفض هذا الاختيار وبالتالي حرمانه مما كان حقاً له، بينما رضي بتاح وج عنخ اف، ووافق على من وقع عليه الإختيار فكوفئ بتثبيته في قيادة مدينة هيراكوليوبوليس (اهناسيا) وتوجه تكلوت الثاني على رأس جيشه إلى طيبة وتمكن من سحق هذا التمرد وأعدم الثوار وأحرق جثثهم ليحرمهم من الحياة الأدبية كنوع من الانتقام.

وكان من أهم نتائج هذه الثورة[1]:

- ازدياد نفوذ كهنة طيبة إذ عمل تكلوت الثانى ولمدة أربع سنوات في أعقاب الثورة على استمالتهم في جانبه فأغدق عليهم الهبات.
- انعدام الأمن بالبلاد إذ اندلعت الثورات والقلاقل من جديد في العام الخامس عشر من حكم تكلوت الثاني واستمرت لمدة عشر سنوات ثم ساد الهدوء لعامين ثم تجددت الثورات من جديد لتشمل طيبة مرة أخرى ففقد أوسركون سيطرته على الوجه القبلى فعاد إلى تانيس وخاصة مع خبر وفاة تكلوت الثاني.
- أثارت تلك القلاقل الصراع على السلطة بعد وفاة تكلوت الثاني، إذ اندلعت النزاعات حول وراثة العرش بين وسركون وشاشنق الثالث، وقد لاقى شاشنق الثالث قبولاً وترحيباً من أهل طيبة لسببين الأول أنه اغتصب العرش من أوسركون الذي رفضوه ككاهن أكبر من قبل وحتى لا تقوى شوكته، والثاني أن شاشنق الثالث ترك لهم مطلق الحرية في اختيار الكاهن الأكبر لأمون ولذا تولى المنصب حور سا إيزيس صاحب الحق الشرعي من قبل.
- ضعف الأسرة وتفككها وازدياد سلطة حكام الأقاليم فقامت الأسرة الثالثة والعشرون على يد "بادي باست" في تل بسطة موازية للأسرة الثانية والعشرين.

ثالثاً: ثورة المصريين على الملك "واح ايب رع" ابريس

[1] **منال إسماعيل توفيق**، الثورة في مصر القديمة ودور الأمن في مواجهتها، 55.

وهو خامس ملوك السرة السادسة والعشرين الصاوية، ومن أهم مصادر الثورة التي حدثت في عهده بعض الوثائق الديموطيقية المسجلة على البردي التي ترجع لعهد أحمس الثاني خنم ايب رع المشهور باسمه الإغريقي (أمازيس) وهي حوالي أربعين بردية، ثم لدينا كتابات هيرودوت وبالتحديد الكتاب الثاني، فهو يتناول هذه الفترة بشيء من التفصيل، كما لدينا المصادر الأثرية والتي جاء أغلبها من صا الحجر ومنها "لوحة الفنتين" التي عثر عليها في القصر الفرنسي الذي كان يسكنه كليبر في حي الأزبكية في فترة الحملة الفرنسية على مصر وقد نشرها برستد ثم كينتز.

ولعل من أهم أسباب تلك الثورة هي اتهام المصريين له بأنه أرسل تلك القوات مدبراً أمر تلك الحملة إلى أراسا بسريني، ليتخلص من المحاربين المصريين في الجيش المصري، لشكه في ولائهم له، فقد حدث أن استنجد الليبيون بالملك المصري ليحميهم من زحف اليونانيين على بلادهم وأخذوا يستولون بالتدريج على أراضيهم، وعندما استجاب واح ايب رع لليبيين باعثاً جيشاً من المصريين ولم يبعث الجيش من اليونانيين الذين يثق فيهم حتى لا يحارب اليونايين بعضهم البعض[1]..فأرسل الجيش من المصريين ولكنه وقع فى كمين بسبب خيانة اليونانيين، عندئذ وجد الشعب المصري أن الكيل قد طفح فهبوا في ثورة عارمة وأعلن الجنود عصيانهم ودخلوا في مواجهة مع ملكهم الذي نجحوا في أسره[2]..أضف إلى هذا موالاة الملك للإغريق ومحاباتهم على حساب المصريين بما منحهم من امتيازات، وضيق الكهنة منه لإسرافه في منح المناصب الكهنوتية للمدنيين من كبار موظفيه.

---

[1] **جيمس هنري برستد**، تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة: حسن كمال، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 1997)، 477.

[2] **أحمد فخري**، مصر الفرعونية، 451-452.

تابوت الملك واح إب رع

وقد عمل أمازيس على تهدئة الأوضاع بإبعاد التجار الإغريق عن أماكن الاحتكاك المباشر بجماهير المصريين، ومنعهم من التجول في الأسواق المحلية الداخلية، ولكنه سمح لهم بمزاولة أعمالهم في مدينة نقراطيس فعمل على تنشيطها[1]..

الثورة الاقتصادية

ولعل من أهم الثورات التي تندرج تحت هذا النوع هي الثورة أو الإضراب الذي قام به العمال في عهد الملك رمسيس الثالث بما يطلق عليه "إضراب العمال" والذي ورد من خلال برديتي هاريس وتورين[1].

---

[1] **منال إسماعيل توفيق**، الثورة في مصر القديمة ودور الأمن في مواجهتها، 63.

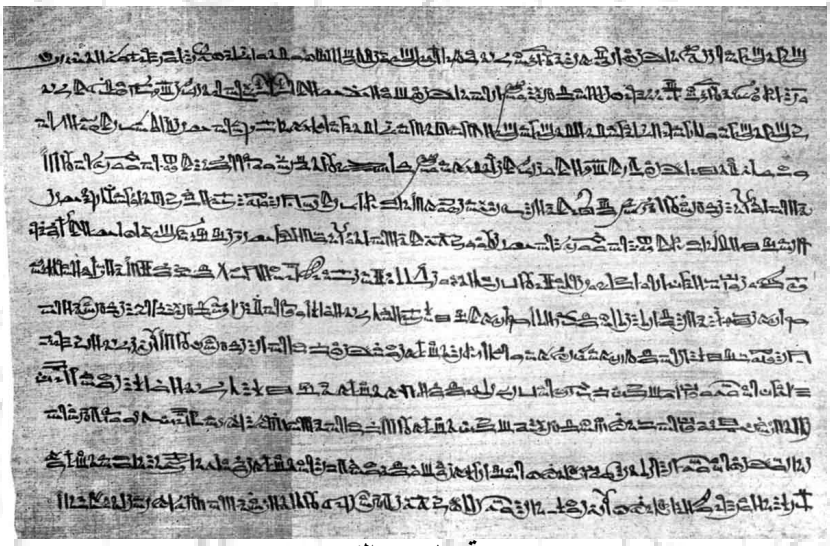

بردية هاريس الكبرى

إن الحروب التي خاضها الملك رمسيس الثالث لحماية مصر من أعدائها لاسيما هجمات شعوب البحر قد أنهكت مصر اقتصادياً، بالإضافة إلى سيطرة كهنة آمون على الجزء الأكبر من ثروات البلاد من خلال الأوقاف التي أوقفها الملك على المعابد والكهنة وأدى الانهيار الاقتصادي إلى ارتفاع في أسعار الحبوب وعجزت الحكومة عن الوفاء بالتزاماتها قبل عمال الجبانة فتأخرت مخصصاتهم من الحبوب عن موعدها مرات عديدة[2]. وتمثل رد الفعل في إضرابات كان الأول منها في العام التاسع والعشرين من حكم رمسيس الثالث حيث تجمع المضربون خلف معبد تحتمس الثالث الجنائزي، ودارت مناقشات ومناوشات بينهم وبين رجال الأمن، وظل الإضراب مستمراً لمدة ثلاثة أيام ثم اتجهوا بعد نفاد صبرهم لمهاجمة مخازن الغلال عند معين الرمسيوم لنهبها مرددين شعار

---

[1] **محمد أبراهيم بكر**، صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم، مطابع هيئة الآثار المصرية، (القاهرة، 1992)، 220.

[2] **محمد بيومي مهران**، مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية، 2000)، 314-315.

"نحن جوعى"[1]. واتسعت دائرة الإضرابات لتتحول إلى ثورة ضد فساد الإدارة[2]. وامتنع العمال لفترات طويلة من أداء أعمالهم فيما يتعلق بمقابر ملوكهم[3].

الثورات ضد الاحتلال الأجنبي

وإذا ما انتقلنا إلى الثورات ضد الاحتلال الأجنبي فإنها تتخذ شكل الكفاح المسلح أحياناً كما حدث إبان غزو الهكسوس لمصر والذين أذاقوا شعبها لأول مرة مرارة الاحتلال، وكلنا يعرف كفاح أبطال طيبة الثلاثة سقنن رع تا عا، كامس، أحمس العسكري والسياسي من أجل تحرير مصر، كما لعبت المرأة في الأسرة المالكة دوراً كبيراً في تعبئة الرأي العام من أجل الوقوف خلف جيشه.

رأس الملك أحمس الثاني أمازيس باللوفر

وكان واضحاً طوال احتلال الهكسوس لمصر أن الشعب المصري عبر بأساليب مختلفة عن مكنون نفسه ورفضه هذا الاحتلال، وفي أحيان أخرى كان يعبر عن ثورته من داخل نفسه برفض التعايش معهم أو تقبل عاداتهم وتقاليدهم والامتناع عن عبادة أربابهم

---

[1] **محمد بيومي مهران**، مصر والشرق الأدنى القديم، 316.

[2] **أحمد فخري**، مصر الفرعونية، 396.

[3] **عبد العزيز صالح**، مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، طـ4، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، 1990)، 266.

ومواجهة كل محاولة منهم للتقرب إليه، الأمر الذي يدخل في إطار المقاومة الشعبية إن صح هذا التعبير[1].

وربما كانت رسالة الملك الهكسوسي **"أبو فيس"** لسقنن رع بإسكات أصوات أفراس النهر في طيبة لأنها تزعجه لها دلالة رمزية على بداية التمرد[2].

الثورة ضد الفرس

ذاق المصريون مرارة احتلال أشد قسوة من سابقه وهو احتلال الفرس لبلادهم مرتين، كانت الأولى في الأسرة السابعة والعشرين والثانية في الأسرة الثلاثين، وقد ثابر المصريون وصمدوا أمام الغزوة الفارسية الأولى بعد أن كان المصريون قد تمكنوا من استجماع قواهم وعادت إليهم روح الأسرة السادسة والعشرين.

ولأن الغزاة الفرس كانوا قساة إلى أقصى درجة ممكنة، بالإضافة إلى استنزافهم لموارد مصر وتحقيرهم من شأن معبوداتهم، فكان من المتوقع أن يكون رد الفعل المصري إزاء هذا المحتل أعنف مما يتصورون، فلم تتوقف ثورات المصريين طوال الأسرة السابعة والعشرين ابتداءً من عهد قمبيز ومروراً بدارا الأول، وأن تاخشاشا، ودارا الثاني[3].

وكان ملوك الفرس يجهزون الجيوش لمواجهة ثورات المصريين وسحقها تأديباً لهم وكانت أهم الثورات هي الثورة الخامسة التي بدأت في العام 42 في عهد الملك دارا الثاني أحد اكثر ملوك الفرس قسوة بعد قمبيز، وقد استمرت الثورة حوالي ست سنوات نجح المصريون بعدها في التخلص من تأثير الفرس[4].

وفي أكثر من ثورة وقف اليهود إلى جانب الفرس وخصوصاً في عهد دارا الثاني مما جعل المصريين يثورون عليهم خاصة في مركز تجمع جاليتهم بالفنتين فهدموا لهم العديد من منشآتهم.

---

[1] **D. B. Redford**, Egypt, Canaan, and Israel in ancient times, AUC press, (Cairo, 1992), 98-106.

[2] **عبد الحميد زايد**، مصر الخالدة، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 2002)، 611.

[3] للمزيد انظر:**عبد الحميد زايد**، مصر الخالدة، ج1، 535-541.

[4] للمزيد انظر: **رمضان عبده علي**، تاريخ مصر القديمة، الجزء الثاني، دار نهضة الشرق، (القاهرة، 2001)، 461.

الثورات الدينية

وهناك نوع آخر من الثورات التي هدفت إلى تغيير في المعتقدات الدينية والتي يمكن اعتبارها بمثابة ثورة دينية كتلك التي جرت في عهد أخناتون[1] عندما نادى بعبادة آتون[2]، وهدم العبادات الأخرى، فهي بمثابة انقلاب على فكر ديني كان راسخاً في عقول المصريين لآلاف السنين، وتمرد على طغيان وهيمنة كهنة آمون ولكنها لم تستمر طويلاً لأسباب كثيرة ليس هذا مقام ذكرها، وقد فصلنا فيها الحديث في مؤلفنا عن تاريخ مصر القديمة، وقد انتهت هذه الثورة تقريباً بموت صاحبها.

تمثال إخناتون بالمتحف المصري

وخلاصة القول أن ظروف المجتمع المصري القديم ككل المجتمعات الأخرى، قد فرضت عليه اتخاذ مواقف حادة تجاه حاكم ظالم قد تصل إلى درجة المؤامرة على حياة

---

[1] **Cyril Aldred**, Akhenaten King Of Egypt, Thamrs And Hudson, (London, 1988), 259-278.

[2] See:The Oxford Encyclopedia Of Ancient Egypt, **Marianne Eaton-Krauss**, Vol. 1, Auc Press, 49-50.

الملك وهو شكل من أشكال الانقلاب الدموي الذي قصد منه تغيير رأس السلطة، كما فرضت عليه أن يواجه فساداً وانهياراً اقتصادياً بإضراب أو امتناع عن عمل أو تظاهر أو حتى مجرد تجمع أو عصيان في محاولة لتوصيل صوته لأولى الأمر في مصر، وفرضت حركة الأحداث على مسرح الشرق الأدنى القديم أن يحسم احتلال على صدر مصر فكان رد الفعل بالمقاومة التي تعبر عن شكل من أشكال الثورة على وضع قائم مرفوض.

ولما استشعر المصريون أن كبرياءهم قد جرح عندما فضّل الملك المصري اليونانيين عليهم في الحياة المدنية والعسكرية كان لابد أن يثوروا لأنفسهم حتى لو أدى الأمر إلى خلع الملك.

هكذا عرف المصريون القدماء معظم أدوات التعبير من خلال وسائل التعبير الإيجابي والسلبي، الكلي والجزئي، بالسلم والعنف بأسلوب فردي أو جماعي، وإن بدا واضحاً من قراءتنا للتاريخ أن أكثر ما حرك المصريين لإحداث التغيير هو استشعار الانهيار الداخلي، فكان لابد من اتخاذ الوسائل لإيقافه، ثم الغزو الأجنبي الذي كان يسعى للعبث بهوية البلاد وبخيراتها، والذي لم يسكت عليه المصري في دفع حياته ثمناً لذلك.

بردية تحذيرات الحكيم إيبور

صالة عرض قصة القروي الفصيح بمتحف برلين

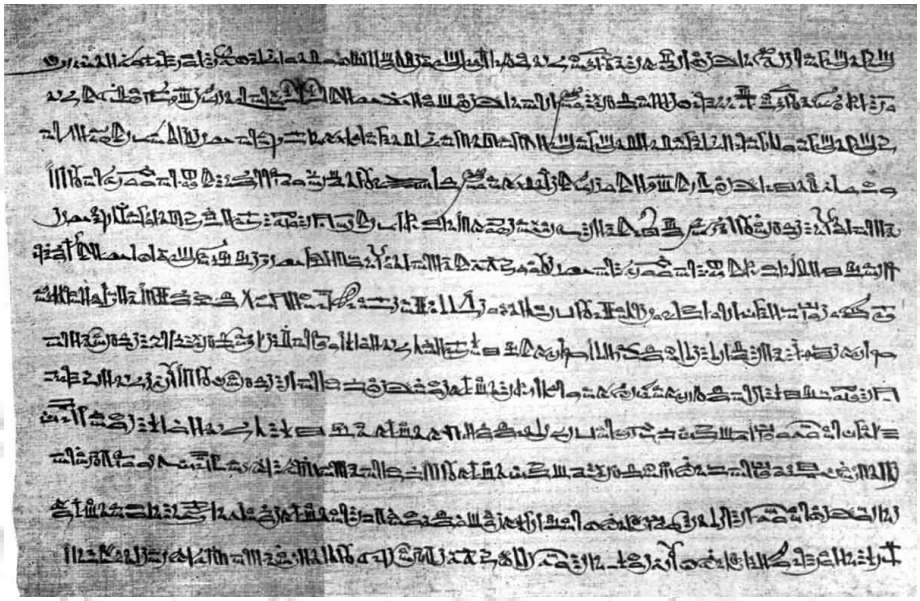

بردية هاريس الكبرى

مقابر بني حسن التي تشير إلى الصراع في عصر الانتقال الأول

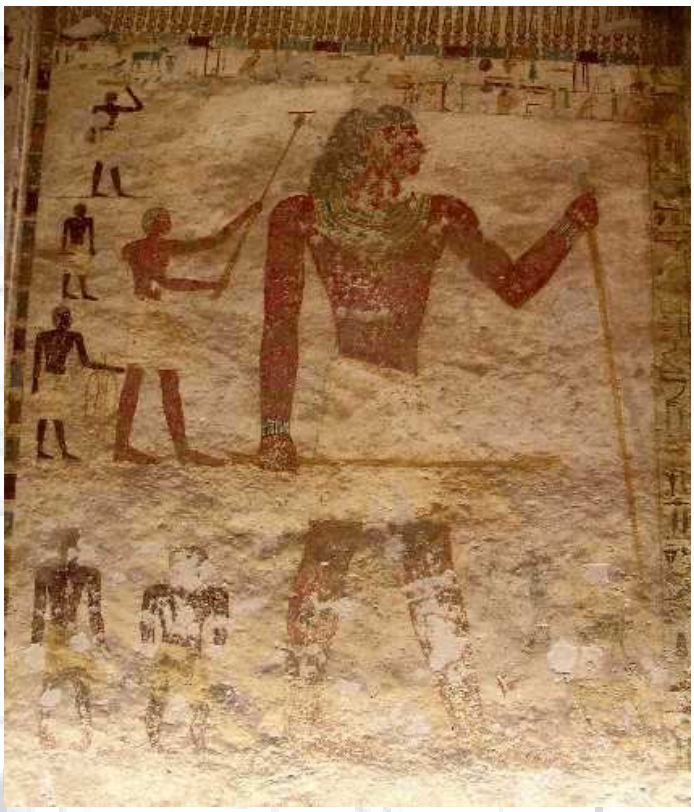

خيتي حاكم إقليم بني حسن

تأثر الفن في عصر الانتقال الأول بالثورات والاضطراب من مقبرة حنو بدير البرشا

تمثال خشبي لحنو ذو نسب غير متناسبة

تمثال حنو ذو النسب الغير متناسبة بشكل مقرب بمقبرتة

تماثيل الأفراد في عصر الانتقال الأول

تأثر شكل العلامات الكتابية في عصر الانتقال الأول

غطاء تابوت الملك واح إب رع

شعوب البحر وإنهاك مصر اقتصاديا – المعبد الجنائزي لرمسيس الثالث – مدينة هابو

حروب رمسيس الثالث ضد شعوب البحر بمعبد مدينة هابو

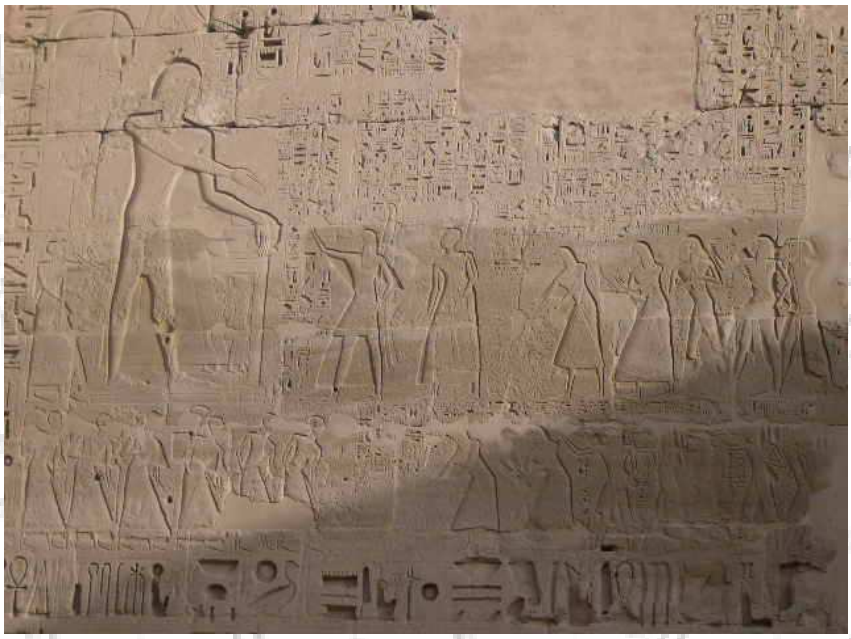

جداريه تصور منظر تعداد الأسرى بمعبد هابو

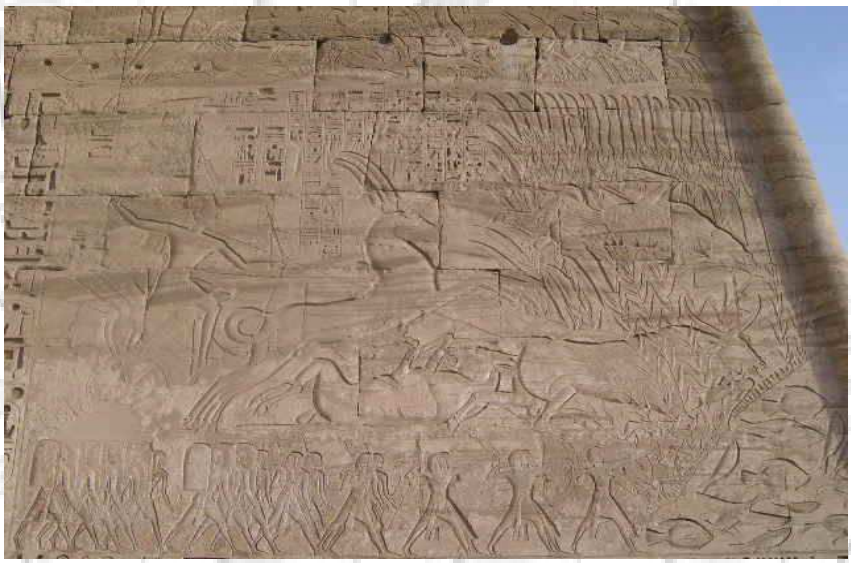

جداريه تصور منظر حروب رمسيس الثالث مع شعوب البحر بمعبد مدينة هابو

الثورات ضد الاحتلال الأجنبي

آثار ضربات بلط الهكسوس واضحة على مومياء "سقنن رع" حيث تشير الأسهم

نماذج من جعارين ملوك الهكسوس

الثورة ضد الفرس

رأس الملك أحمس الثاني أمازيس باللوفر

الثورات الدينية

الثورة الدينية على ديانة آمون

الثورة الدينية على ديانة آمون

الملك اخناتون بالمتحف المصري

إخناتون وهو يرتدي تاج الخبرش

إخناتون وهو يقبل ابنته بالمتحف المصري

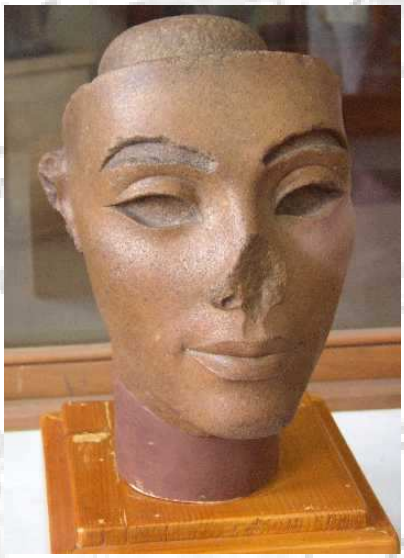

رأسين للملكة نفرتيتي بالمتحف المصري

رأس نفرتيتي بمتحف برلين

إحدى بنات اخناتون

إخناتون ونفرتيتي يتعبدان لقرص الشمس "آتوم"

إخناتون ونفرتيتي يتعبدان لقرص الشمس "آتوم"

إخناتون ونفرتيتي يتعبدان لقرص الشمس

عائلة إخناتون تتعبد لقرص الشمس "آتوم"

عائلة إخناتون تتعبد لقرص الشمس "آتوم"

تابوت تم استعادة مؤخراً من متحف ميونخ يرجح أنه لإخناتون أو سمنخ كارع

بقايا جدران معبد أتون بالكرنك (المعروفة بأحجار الثلاثات)

اخناتون ونفرتيتي يتعبدون إلى المعبود "آتون" قرص الشمس ذو الأيدي الآدمية"

بمعبدة بتل العمارنة

أطلال مدينة "أخت آتون"، العاصمة بعد الثورة

للمزيد من الاستزادة راجع

أحمد فخري، مصر الفرعونية، الطبعة الثامنة، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، 1995).

جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة: حسن كمال، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 1997).

رشا فاروق السيد محمد، دراسة لغوية تحليلية خطية لبردية "إيبوور"، ماجستير، كلية الآداب، (جامعة الإسكندرية، 1999).

رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديمة، الجزء الثاني، دار نهضة الشرق، (القاهرة، 2001).

عبد الحميد زايد، مصر الخالدة، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 2002).

محمد بيومي مهران، مصر، ج2، منذ قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة، ص (ع).

منال إسماعيل توفيق محمد، *الثورة في مصر القديمة ودور الأمن في مواجهتها منذ بداية الأسرات وحتى نهاية التاريخ المصري القديم*، رسالة ماچستير في الآثار المصرية، إشراف: عبد الحليم نور الدين، قسم الآثار المصرية - كلية الآثار (جامعة القاهرة، 2004 م).

Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية
صفحة مصريات